مشكلة المعجزة في فلسفة الدين المعاصرة عند David Basing

الباحثين:
الموجود مصطفى
رشيد ابن السيد
مختبر الإنسان والمجتمع والقيم
جامعة ابن طفيل كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، القنيطرة
المغرب

الملخص

هذا المقال عبارة عن نظرة نقدية حول مفهوم المعجزة كما تم النظر إليه سواء من طرف بعض اللاهوتيين والمؤمنين، وكما ورد ايضا في المناقشات الفلسفية مع بعض الفلاسفة، وتم الوقوف فيه عند أهم الصعوبات المفهومية والمعرفية والأخلاقية التي يطرحها تعريف المعجزة، وذلك من خلال اشتغالنا على موقف الفيلسوف الأمريكي **دافيد باسنجر**. هذا الأخير الذي تأمل في معنى المعجزات وتساءل عن معقولية أو عدم صحة الإيمان بحدوثها وكذا الإشكالات المفهومية المترتبة عن تعريف المعجزة وذلك من خلال مجموعة من مؤلفاته التي خصها لمناقشة التصورات اللاهوتية والفلسفية لهذا المفهوم.

الكلمات المفتاحية: المعجزة، قوانين الطبيعة، الفعل الإلهي، النقد، حدث غير عادي.

Abstract

This article provides a critical overview of the concept of miracle as it has been considered by some theologians and believers, as well as in philosophical discussions with certain philosophers. The aim is to explore the conceptual, epistemological, and ethical challenges posed by the definition of miracle, by focusing on the perspective of the American philosopher David Basinger. Basinger reflects on the meaning of miracle and questions the rationality or validity of believing in their occurrence." and addresses the conceptual issues arising from the definition of miracles. This is done through an examination of his works dedicated to discussing the theological and philosophical perspectives on this concept.

Keywords: Miracle, Laws of Nature, Divine Action, Critique, Extraordinary Event.

صموئيل طومسون:

"إن فكرة المعجزة كشيء يحدث في الطبيعة ويتعارض مع قوانين الطبيعة هي مفهوم مشوش بشكل غريب. في المقام الأول، لا يمكن العثور على مثل هذا المفهوم في المصادر الكتابية للتقليد العبري المسيحي، لأن تلك المصادر لم يكن لديها مفهوم القانون الطبيعي"[2].

مقدمة

لقد أثار موضوع المعجزة الكثير من الجدل الفلسفي واللاهوتي، فهذه القضية تحتل مكانة كبيرة لدى المتدينين والمؤمنين باعتبارها دليل خارجي على صحة معتقداتهم وإيمانهم، وقد كان الناس ينظرون الى كل ما هو فوق طبيعي على أنه معجزة، فكل قوم كان يحث النبي والرسول الذي بعث إليه على الإتيان بالمعجزات لتبرير وتدعيم الرسالة التي جاء بها لكي ليؤمنوا به. إلا أن الناس قد اختلفوا حول معنى المعجزة. واختلفوا أكثر حول معقولية الإيمان بحدوث المعجزات.

وهكذا كان موضوع "المعجزة" حاضرا في أعمال مجموعة من الفلاسفة على سبيل المثال لا الحصر توما الأكويني، سوينبيرن وبودن باروخ سبينوزا، ابن سينا، جون هيك، جون غريش، هنري دوميري.... ويمكن اعتبار هيوم من الفلاسفة الأكثر شهرة والأكثر مناقشة لهذه المسألة، لذا ينبغي علينا أن نتأمل ما يمكن أن يقال عن معنى المعجزات وعن معقولية أو عدم صحة الإيمان بحدوثها.

فالمعجزة في أبسط معانيها " لفظ يستعمل عادة ليدل على حادثة تتضمن انتهاكا لقوانين الطبيعة عن طريق تدخل فوق طبيعي وتشير الى حالة عجيبة نادرة الحدوث"[3]، وهي كذلك "حدث غير عادي وغير متوقع ويمكن ملاحظته نتيجة للتدخل الإلهي المباشر"[4]، من خلال هذين التعريفين نفهم ان هذا المصطلح يطلق على كل حدث غير عادي وغير متوقع حدوثه نظرًا لفهمنا الحالي للقوانين الطبيعية، أحداث مثل ظهور شخص سالمًا تمامًا من حادث مروع حيث يموت أي شخص آخر على الفور، أو أن يتعافى الشخص بشكل فوري وكامل من مرض عضال في مرحلتة النهائية.

هذا التصور عن المعجزة هو المعنى السائد في التصورات الدينية واللاهوتية الكلاسيكية، وقد كانت المعجزة قضية مقدسة ومتعالية عن كل نقد ومساءلة، إلا أنه في القرن الثامن عشر ونهاية القرن السابع عشر عمل مجموعة من الفلاسفة مثل توماس ولستون، دافيد هيوم، سبينوزا، إيمانويل كانط... على تناول قضية المعجزة واخضاعها لمنطق النقد والتأمل الفلسفيين بعيدا عن التصورات الدينية واللاهوتية التقليدية السائدة. فالنقد الفلسفي لمفهوم المعجزات عند هؤلاء الفلاسفة يتنوع بين التشكيك في صحة وقوعها استنادًا إلى قوانين وعدم موثوقية الأدلة البشرية التي تدعي حدوثها، وبين التأكيد على أن المعجزات لا تقدم تفسيرًا عقلانيًا أو علميًا لما يحدث في الكون.

في هذا السياق تأتي هذه الدراسة لغرض إلقاء نظرة نقدية على الطرق التي تم بها تعريف وفهم المعجزة في التصور الديني والثيولوجي الكلاسيكي من جهة، والتعريفات المذكورة بشكل عرضي في المناقشات الفلسفية الحديثة والمعاصرة وبيان الإشكالات والصعوبات المفهومية التي يطرحها تعريف المعجزة، وذلك من خلال اشتغالنا على موقف البروفيسور الأمريكي **دافيد باسينجر**، وسنركز دراستنا على تعريفين اساسيين وما يطرحانه من مشكلات معرفية ومفهومية وهما:

أولا: المعجزة باعتبارها حدث غير عادي

وثانيا: المعجزة كتدخل إلهي مباشر

فما المعجزة؟ وما طبيعتها ما الذي نناقشه عندما نتحدث عن المعجزات؟ ؟ وكيف تناول فلاسفة الدين هذا المفهوم؟ بأي معنى تعتبر المعجزة حدث غير عادي ناتج عن تدخل إلهي مباشر؟ ماهي الصعوبات والاشكالات المفهومية والمعرفية والأخلاقية التي يطرحها التعريفين للمعجزة؟ وكيف انتقد دافيد باسينجر التصورات السائدة حول مفهوم المعجزة؟

المبحث الأول: في معنى المعجزة

تعد قضية المعجزة من أهم القضايا والإشكالات في فلسفة الدين، وقبل أن نتبين جوانب وأبعاد التحليل والنقد الفلسفي لهذا المفهوم كما بلوره **دافيد باسنجر**، لابد أولا من أن نلقي نظرة عن التصور الكلاسيكي والتقليدي لمفهوم المعجزة كما ورد في التصورات

والمناقشات الفلسفية واللاهوتية التقليدية. فقد آمن الناس عبر التاريخ أن الله كشف عن نفسه بطرق معينة، لأشخاص معينين، في فترات زمنية معينة وذلك عبر الأنبياء، الوحي، وخاصة عبر المعجزات.

إن المعجزة في اصطلاح العلماء هي "الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم من المعارضة"[5]، وتعني كذلك "ذلك الحدث الذي لا يمكن تفسيره بالأسباب الطبيعية وحدها "[6]، ولعل التعريف الشائع لها أنها تعني إفساد النظام أو توقف دورة الطبيعة "[7]، ومن جانب آخر فهي تعني فيما قال القديس توما الأكويني "حدث يفوق الطاقة الإنتاجية للطبيعة "[8]، أي أنه حدث استثنائي لا يمكن أن يستند سبب طبيعي أو على شيء مما تنتجه الطبيعة.

هكذا يُنظر إلى المعجزات على أنها أعمال الله وذات أصل إلهي واضح، وهي أعمال يكشف الله فيها عن نفسه بطريقة فريدة. وهذا التصور نجده خاصة في الديانات السماوية اليهودية، والمسيحية، والإسلام فكلها تحتوي على روايات عن أحداث خارقة للطبيعة. يعتقد تاريخيًا أن الله قد كشف عن نفسه في التاريخ من خلال أفعاله، لقد كشف نفسه لرجال مثل إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، من خلال دعوتهم إلى مهام محددة، وقد استخدم رجال اللاهوت المسيحي المعجزات والنبوءات التي وردت في "العهد الجديد" شاهدا على صحة الوحي وصدقه، فالمؤمنون يرون أن الفاعل يوجد خارج الطبيعة وليس داخلها.

إن ظهور المعجزات قد ارتبط تاريخيا بشكل من أشكال البرهنة على الألوهية، ومن هنا نشأ مفهوم المعجزة بالمعنى الثيولوجي باعتبارها "أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي تأييدا لنبوته فهي إذن ما يعجز البشر عن أن يأتوا به"[9]، وتاريخ الفكر الديني مليء بالمعجزات التي جاء بها الأنبياء والمرسلين مثل شق موسى البحر بالعصا، وولادة عيسى ابن مريم، وإسراء محمد.

وللمعجزة في هاته الأديان دور كبير باعتبارها دليل خارجي للإيمان، ذلك أن النبي مطالب بأن يأتي بأفعال وأعمال خارقة للطبيعة تدعم نبوته وتتيح لأتباعه تصديقه، هذا الأمر لا ينحصر فقط على الأديان السماوية، بل نجد كذلك قصص حياة زعماء الديانات الشرقية مثل بودا، وزرادشت، تتحدث عن المعجزات والأحداث الخارقة التي حققوها ونفس الأمر نجده كذلك في الديانات اليونانية. لتأتي بعد ذلك الديانات السماوية اليهودية والمسيحية على الخصوص لتأكد وقوع المعجزات، ومن تم ترسخ في المخيال الديني " أن الخوارق الطبيعية لا بد أن تظهر مصاحبة للأنبياء لتؤكد صحة رسالتهم وتدعم إيمان حواريهم واتباعهم"[10].

نستنتج من خلال التعاريف أعلاه أنه على الرغم من أن التعريفات المحددة للمعجزة الدينية تختلف اختلافًا كبيرًا، إلا أن الغالبية العظمى تتضمن على الأقل الافتراضين الأساسيين التاليين:

1- أن المعجزة هي حدث غير عادي بمعنى أننا لم نتوقع حدوثه في العالم على ضوء فهمنا الحالي لكيفية لوقوع الأحداث.

2- هي بطريقة ما نتيجة للنشاط الإلهي المتعمد. وقد أكد البعض أنه لكي يتم تصنيف حدث ما على أنه معجزة، يجب أن يكون له أيضًا تأثير ديني كبير.

ونجد هذا الأمر خصوصا عند الفيلسوف جون هيك الذي أكد أنه لكي نصنف حادثا ما معجزة لابد له من تأثير ديني وهذا واضح من خلال قوله" أن المعجزة يجب أن يختبرها شخص ما باعتبارها ذات أهمية دينية، هي حدث نصبح من خلاله واعين بشكل واضح بأن الله يعمل تجاهنا. إن الحدث المذهل، حتى لو كان ينطوي على تعليق القانون الطبيعي، لا يشكل بالنسبة لنا معجزة بالمعنى الديني للكلمة إذا فشل في جعلنا ندرك بشكل مكثف حضور الله، لكي يكون معجزة يجب أن يكون الحدث ذو أهمية دينية"[11]

يوافق تيموثي ماكجرو على هذا التعريف "بعيدًا عن كل هذه الاعتبارات، يمكن للمرء أن يقدم حجة لحصر مصطلح "معجزة" في الأحداث التي تحدث بشكل خارق للطبيعة ولها بعض الأهمية الدينية الواضحة، إن تحولًا طفيفًا في بضع حبات من الرمل في الصحراء

المعزولة، إذا تجاوز قوى الطبيعة الإنتاجية، يمكن وصفه بأنه معجزة بمعنى ما، لكنه من الواضح أنه يفتقر إلى الأهمية الدينية ولا يمكن استخدامه كنقطة ارتكاز. لأية حجة مثيرة للاهتمام"[12].

من خلال هذه التعريفات فإن النقطة العامة التي أوضحها هيك وماكجرو واضحة. للارتقاء إلى مستوى المعجزة، يجب على الأقل أن يكون الحدث قد مر به شخص ما وأن يكون له تأثير ديني كبير على هذا الشخص. أو بعبارة أخرى، بالنسبة لأولئك الذين يعرّفون المعجزة بهذه الطريقة، فإن الشرط الضروري لاعتبار حدث ما معجزة هو أن يكون حدثًا يشير إلى الإلهية بالنسبة لأولئك الذين

قبل أن نبدأ مناقشتنا للتوضيحات التعريفية الإضافية المتعلقة على وجه التحديد بالمعجزة كحدث غير عادي، ثم كعمل من أعمال الله، من الضروري ملاحظة عامة تتعلق بنقد "دفيد باسنجر" للمعجزة فقد اقتصر نقده لمفهوم المعجزة كما ورد تعريفها في الديانات السماوية خاصة المسيحية، وكما تم تعريفها في المناقشات الفلسفية خاصة في الفلسفة التحليلية الغربية. وفي هذا السياق يقول" تم تضييق نطاق التركيز عادةً إلى أنظمة المعتقدات الدينية التي تفترض وجود كائن خارق للطبيعة (الله) لديه القدرة على التدخل في الشؤون الأرضية بطرق تتعارض مع فهمنا الحالي لقوانين الطبيعة، في حين أن الكثير من مناقشتي سوف تركز على إله المسيحية، من المهم أن نلاحظ أن الاختلافات في التقاليد الدينية الأخرى تفترض أيضًا وجود كائن خارق للطبيعة يتدخل بأعجوبة في عالمنا. من الواضح أن اليهودية والإسلام ضمن هذه الفئة، والتي تظهر أمثلة على تدخل الله في الطبيعة"[13].

1) المعجزة كحدث غير عادي

سننظر أولاً في تلك التوضيحات التعريفية المتعلقة في المقام الأول بالمعجزة كحدث غير عادي، بمعنى كحدث لم نتوقع حدوثه بالطريقة التي حدث بها، وفقا لفهمنا الحالي لكيفية وقوع الأحداث.

من خلال بحثنا تبين لنا أن هناك على الأقل ثلاثة مفاهيم متميزة لما يعنيه القول بأن الحدث المعجزي غير عادي، وقد نشأت حوله مناقشات فلسفية، وهي مفاهيم تختلف حول العلاقة المتصورة بين الحدث المعجزي، باعتباره حدثًا، و. النظام الطبيعي وهي كالتالي:

أولا: المعجزة باعتبارها انتهاكًا للقانون الطبيعي

منذ زمن **ديفيد هيوم**، غالبًا ما تم تعريف المعجزات من قبل المؤيدين والنقاد على حد سواء على أنها "اختراق لنواميس الطبيعية "[14]، أي انتهاك لقوانين الطبيعة وخرق للمعتاد. فالقوانين الطبيعية تصف الظواهر الفعلية التي تحدث في عالمنا، وبشكل أكثر تحديدًا، فهي تعميمات وتنبؤات عالمية تصف ما سيحدث في ظل ظروف محددة. فبعض قوانيننا الطبيعية الراسخة تؤكد لنا، على سبيل المثال، أن النار تحرق، وأن جسم الإنسان قابل للاحتراق. ولكن لنفترض أن شخصًا ما كان يمشي على النار، وأن هذه الأخيرة فجأة أصبحت باردة، سيكون مطلوبًا منا بعد ذلك أن نعترف ليس فقط بوقوع حدث تمنحنا معرفتنا بالقوانين الطبيعية سببًا وجيهًا للاعتقاد بأنه لن يحدث؛ بل أكثر من ذلك، أنه سيُطلب منا بعد ذلك الاعتراف بوقوع حدث يمكننا أن نستنتج بشكل مبرر أنه لا يوجد تفسير طبيعي له على الإطلاق. وبناءً على ذلك، نستنتج أنه سيكون لدينا ما يبرر افتراض أن القوانين الطبيعية ذات الصلة قد تم انتهاكها وبالتالي نحن أمام معجزة.

ثانيا: المعجزة كتجاوز أو تحايل على القانون الطبيعي

هذا الفهم للعلاقة بين الحدث المعجزي والنظام الطبيعي يركز على نطاق النظام الطبيعي في مواجهة الحدث المعني. على وجه التحديد، فهو يعتمد على افتراض أن فهمنا الحالي للنظام الطبيعي لا يمكن تحديه إلا من خلال الأحداث التي لها، من حيث المبدأ، تفسيرات

سببية طبيعية تمامًا، وبالتالي، فإن الحدث الذي يكون جزئيًا نتيجة لسببية غير طبيعية هو من الأفضل أن يُنظر إليه على أنه تحايل (تجاوز) للنظام الطبيعي وليس على أنه انتهاك لهذا النظام.

على سبيل المثال، يخبرنا "**ستيف كلارك**"، عند مناقشة العلاقة بين المعجزة والقانون الطبيعي، أن "قوانين الطبيعة هي قوانين الطبيعة؛ ينبغي أن نتوقع منها أن تفسر سلوك الأشياء التي كانت خارقة للطبيعة"[15]. وفي سياق مماثل، يقول **توما الأكويني** " أن المعجزة هي حدث يتجاوز القوة الإنتاجية للطبيعة"[16]. و عند التوسع في آراء "**بيتر فان إنواجن**" حول العمل الإلهي، يقدم لنا نسخة فريدة من هذا الفهم للمعجزة المرتبطة بالعلم الحديث: "لنفترض إذن أن الخلق يتكون من عدد معين من وحدات المادة غير القابلة للتجزئة تسمى "الجسيمات الأولية"، وأن هذه الجسيمات تمتلك قوى سببية معينة، أي قدرات جوهرية معينة للتأثير على حركات الجسيمات الأخرى. ولنفترض أيضًا أن الله خلق هذه الجسيمات من العدم، ويديم وجودها ويحفظ قواها باستمرار. في مثل هذا العالم، يمكن أن تصل المعجزة إلى ما يلي: يقوم الله أحيانًا، ولحظيًا، بتزويد بعض الجسيمات الأولية بقوى سببية مختلفة عن قواها العادية[17].

نفهم من خلال مثال فان إنواجن، أن الله يجعل الجزيئات التي تتكون منها بعض جزيئات النار مثلا تتبع مسارات مختلفة عما تفعله عادة، وبالتالي تعيد ترتيب نفسها مثلا أن تصبح النار باردة. إذا كان مثل هذا العمل الإلهي يعتبر معجزة، يلاحظ فان إينواجن، أن ليست بالضرورة انتهاكًا للقانون كما ذهب الى ذلك دافيد هيوم طالما أن قوانين الطبيعة غير حتمية.

ثالثا: المعجزة كمصادفة مع تفسير طبيعي متاح

هناك مؤمنون وفلاسفة لا يريدون اختزال نطاق مصطلح "المعجزة" على تلك التدخلات الإلهية المباشرة التي لا يتوفر لها تفسير طبيعي في الوقت الحاضر. إنهم يريدون توسيع التعريف ليشمل تلك "المصادفات" التي تلاعب الله فيها بشكل مباشر بالنظام الطبيعي، على الرغم من إمكانية بناء سيناريو سببي بديل طبيعي تمامًا. على سبيل المثال، يعترف "**بيوتر بيليكا** "بأن النشاط الخارق المتعمد "يمكن أن ينتج إما تأثيرات تتفق مع النظام الطبيعي المنتظم أو تأثيرات مفاجئة ومدهشة، والتي يمكن افتراضها ضمن نظام معين من المعتقدات ذات طبيعة في حد ذاته غير قادر على الإنتاج ثم يضيف أن "الأخيرة يشار إليها عادةً باسم المعجزات"[18].

ولفهم هذا التعريف دعونا نتأمل، على سبيل المثال، القصة الافتراضية التالية التي يتم تكرارها كثيرًا والتي كتبها **آر إف هولاند** (1965م). "ركب طفل سيارته اللعبة على طريق بدون حراسة بالقرب من منزله، وتعلق إحدى عجلات سيارته على أحد القضبان. يقترب قطار سريع وهناك منحنى في المسار يجعل من المستحيل على السائق رؤية الطفل. علاوة على ذلك، فإن الطفل عازم على تحرير عجلة القيادة لدرجة أنه لا يسمع صافرة القطار أو والدته التي خرجت من المنزل وتحاول لفت انتباهه. يبدو أن الطفل محكوم عليه بالفشل. ومع ذلك، قبل أن يدور القطار حول المنحنى مباشرة، يتم استخدام المكابح، ويتوقف القطار على بعد بضعة أقدام فقط من الطفل. تشكر الأم الله على الفور على ما تعتبره معجزة، على الرغم من أنها تعلم أنه لا يوجد بالضرورة أي شيء خارق للطبيعة في الطريقة التي توقف بها القطار بالقرب من ابنها. وكان السائق قد أغمي عليه لأسباب لا علاقة لها بوجود الطفل على الخط، وتم استخدام المكابح تلقائياً عندما حررت يده الضغط على ذراع التحكم"[19].

كل مكون يمكن ملاحظته في تسلسل الأحداث هذا لديه تفسير طبيعي متاح. يلعب الأطفال أحيانًا على مسارات القطارات؛ أحيانًا يُغمي على سائقي القطارات. استخدم هولاند نفسه هذه القصة لتجسيد ما أسماه معجزات "الصدفة" وهي أحداث تستحق أن تسمى معجزات ليس لأنها ليس لها تفسير طبيعي أو لأن الله في بعض النواحي تدخل بشكل مباشر ولكن بسبب نتائجها غير المتوقعة ولكن المهمة.

نستنتج من قصة هولاند هذه أن هناك طريقة أخرى لفهم كيف يمكن لله أن يتدخل في النظام الطبيعي. من الواضح أن هناك العديد من المؤمنين الذين يفهمون المعجزات على أنها أحداث ليس لها تفسير طبيعي واضح تمامًا في الوقت الحالي على الأقل، وبالتالي ينظرون

إلى مثل هذه الانتهاكات أو التحايل على النظام الطبيعي، كما أنه لا يمكن لأي مؤمن أن ينكر أن هناك بعض الأحداث المهمة جدًا المتوقعة، دعنا نسميها مصادفات، والتي لا تنطوي على تدخل إلهي مباشر على الإطلاق. ومع ذلك، يعتقد بعض المؤمنين أيضًا على الأقل أن هناك أحداثًا مهمة غير متوقعة، والتي سنسميها أيضًا مصادفات، مع وجود تفسيرات طبيعية تمامًا متاحة والتي تتضمن مع ذلك تدخلًا إلهيًا مباشرًا.

في قصة هولاند، كما ذكرنا، يوجد تفسير طبيعي تمامًا. ومع ذلك، هناك خيار تفسيري آخر متاح في هذا الموقف: أن السائق أغمي عليه في اللحظة المحددة لأن الله تدخل بشكل مباشر بطريقة ما ليجعل الأمر كذلك، وهناك مؤمنين يزعمون أنه إذا كان هناك، في الواقع، تدخل إلهي مباشر من هذا النوع في هذه الحالة، فيمكن اعتبار هذا الحدث معجزة بشكل مبرر. هذا التصور يتم مناقشته بشكل متكرر من قبل الفلاسفة. والأهم من ذلك، يبدو أن البعض يعتقد أننا لا ينبغي أن نعتبر النشاط الإلهي الذي له تفسير طبيعي متاحًا معجزة لأنه يطمس التمييز بين المعجزة والعناية الإلهية.

2) المعجزة كعمل من أعمال الله

سنوجه انتباهنا الآن إلى التوضيحات التعريفية المتعلقة بالطرق التي تم بها فهم المعجزات على أنها نتيجة للعمل أو للتدخل الإلهي المتعمد. فالمعجزة، كما عرفناها، هي حدث ناتج عن نشاط خارق متعمد، فمن المهم أن نلاحظ أن معظم المؤمنين يعترفون بأن كائنات خارقة للطبيعة غير الله تتدخل في الشؤون الأرضية، حتى في بعض الأحيان لإحداث أحداث غير عادية وغير متوقعة. على سبيل المثال، "يحتوي اللاهوت المسيحي الكلاسيكي على إشارات إلى كائنات خيرة خارقة للطبيعة تسمى الملائكة الذين شاركوا في نشاط الشفاء"[20].

وبالمثل، غالبًا ما يتم الاعتراف بأن النشاط المتعمد للكائنات الخارقة للطبيعة الخبيثة مثل الشيطان والشياطين قادر على إحداث أحداث غير عادية، وحتى مذهلة. فهل ينبغي أن تقتصر مناقشتنا للمعجزات على التدخل الخارق للطبيعة من قبل الله وحده، أم ينبغي أن تشمل التدخل من قبل كائنات خارقة أخرى؟

في البداية لابد لنا من التمييز بين نوعين من التدخل الإلهي: النشاط الإلهي المباشر وغير المباشر. وكما رأينا، فإن غالبية المؤمنين الذين يعترفون بالنشاط الإلهي في عالمنا يعتقدون أن الكثير مما يحدث هو من أفعال الله بالمعنى الأساسي والواسع، وهو أن الله خلق الكون، ووضع "القوانين" التي يقوم عليها النظام الطبيعي. ويستمر في الحفاظ على هذا النظام الطبيعي بالقوة الإلهية. وبهذا المعنى، يمكن القول أن عاصفة رعدية صيفية أو ولادة طفل هي من أعمال الله.

عندما يُعتقد أن الله قد تلاعب عمدًا بالنظام الطبيعي لضمان حدوث حدث ما بالضبط ومتى وكيف يحدث، فإنه يصبح عندئذ عملاً مباشرًا من الله، بغض النظر عما إذا كان هناك تفسير طبيعي كامل متاح أم لا. وحتى هنا يتم أحيانًا إجراء تمييز أدق فيما يتعلق بالعلاقة بين معجزات الصدفة وأعمال الله المباشرة. عندما نفكر في أن الله هو الذي يحدث حدثًا ما بشكل مباشر، فمن المعقول تمامًا أن نتصور تلاعب الله بالنظام الطبيعي الذي يحدث في وقت وقوع الحدث. في سيناريو القطار مثلا، من الطبيعي أن نتصور أن الله يتصرف بطريقة ما قبل أن ينعطف القطار مباشرة. أو عندما نفكر في شفاء الله لشخص مصاب بالسرطان، فمن الطبيعي أن نتصور تدخل الله في اللحظة التي يمكن فيها ملاحظة الشفاء.

هناك فلاسفة مثل روبرت آدامز، الذين اقترحوا طريقة أخرى للتفكير في نشاط الله، في هذا السياق يخبرنا آدامز " أنه يمكننا أن نتصور أن الله خلق "العالم بطريقة كانت محددة مسبقًا فيزيائيًا منذ البداية بحيث تتصرف الطبيعة بالطريقة المناسبة في الوقت المحدد بالضبط

الذي توقعه الله" ستكون هناك حاجة إليه. يمكننا، على سبيل المثال، أن نفكر في أن الله خلق العالم بطريقة تجعل سائق قطار معين على مسار معين في وقت محدد يغمى عليه من أجل إنقاذ حياة طفل صغير"[21].

ومن هنا يكون التدخل الإلهي غير مباشر إذا كانت هناك أحداث إضافية في السلسلة السببية بين الاثنين. على سبيل المثال، إذا أمر الله ملاكًا بشفاء شخص ما، فهناك من يريد اعتبار الشفاء معجزة، لاحظ لارمر، أن بعض البشر على سبيل المثال، المعالجين بالإيمان لديهم القدرة على صنع المعجزات. "ومع ذلك، في كلتا الحالتين يُفترض عادةً أن المصدر النهائي لحدوث معجزة هو قوة الله، التي تظهر نفسها من خلال وكلاء خارقين للطبيعة بشريين أو خاضعين والذين منحهم الله السلطة المطلوبة"[22]

هكذا ينظر الى هذا النوع من النشاط الإلهي على أنه معجزة. ومع ذلك كما رأينا، يرى معظم المؤمنين أيضًا أن هناك بعض الأحداث التي لم تكن لتحدث بالطريقة الدقيقة التي حدثت بها لو لم يتدخل الله بشكل مباشر بطريقة ما للتلاعب بالنظام الطبيعي. عادة ما يعتبر المؤمنون أن الأحداث المعجزية تقع ضمن هذه الفئة من "أعمال الله المباشرة". ومع ذلك، لا يوجد اتفاق موحد حول ما إذا كان الله التدخلي المتعلق بمعجزات الصدفة الأحداث التي لها تفسيرات طبيعية كاملة متاحة ولكنها لم تكن لتحدث كما حدثت دون تدخل إلهي يجب اعتبارها أعمالاً مباشرة من الله. لهذا السبب سنحتفظ في مناقشتنا الفلسفية بتسمية المعجزة للأحداث التي لم تكن لتحدث متى وكيف حدثت دون نشاط التدخل الإلهي المباشر المتعمد من الله.

نستنتج إذن من خلال التعاريف السابقة أعلاه أنه يتم تعريف المعجزة على أنها حدث غير عادي وغير متوقع ويمكن ملاحظته، ويرجع ذلك جزئيًا إلى نشاط التدخل المباشر المتعمد من الله. يتيح هذا التعريف طرقًا مختلفة لفهم طبيعة الحدث نفسه، ويتوافق مع هذا التعريف افتراض أن أفضل طريقة لفهم الحدث المعني هي انتهاك النظام الطبيعي أو التحايل عليه. ومن المقبول أيضًا اعتبار الأحداث التي لا تبدو متعارضة مع النظام الطبيعي بمثابة معجزات مصادفة. وبالمثل، فقد رأينا أن هذا التعريف يسمح بفهم مختلف للطرق التي يمكن أن يظهر بها نشاط التدخل الإلهي المباشر نفسه. من المقبول أن ننظر إلى مثل هذا النشاط باعتباره تلاعبًا ملحوظًا بالنظام الطبيعي في بعض الأحيان، ولكن ليس كذلك في أحيان أخرى. وبينما من المقبول افتراض أن الله يتلاعب بالنظام الطبيعي في وقت وقوع الحدث، فمن المقبول أيضًا افتراض أن "التلاعب" المعني هو قدر مسبق من جانب الله بأن الطبيعة ستعمل بطريقة تؤدي إلى حدوث ذلك.

المبحث الثاني: نقد دايفيد باسنجر لمفهوم المعجزة

سننتقل الآن الى النظر في الانتقادات التي أبداها البروفيسور دافيد باسنجر حول التعريفات السابقة لمفهوم المعجزة ذلك أن هذه الأخيرة في نظره تطرح صعوبات مفهومية ومعرفية وحتى أخلاقية تجعل من موضوع المعجزة موضوعا إشكاليا.

1.1 . المعجزة كحدث غير عادي

من خلال التعريفات السابقة استنتجنا أن الحدث المعجزي في مواجهة النظام الطبيعي قد يتخذ شكل انتهاك أو تحايل أو صدفة وتبدو هذه التعريفات كلها متماسكة، يرى باسنجر أن معجزات الصدفة لا تطرح أي إشكال مادمت تتوافق مع قوانين الطبيعة لكن ما هو غير عادي وغير متوقع هو توقيت وتأثير الحدث المعني كما هو الحال في قصة هولاند عن الصبي والقطار .

لكن من جهة أخرى يجد دايفيد باسنجر أن كل محاولات تعريف المعجزة كتحايل وانتهاك لقوانين الطبيعة، حيث أن ما يُدعى في كلتا الحالتين هو أن الحدث المعني على الأقل في الوقت الحاضر، ليس له تفسير طبيعي تمامًا نظرًا لفهمنا الحالي للنظام ولقوانين الطبيعة يطرح صعوبات مفاهيمية تتمثل في:

أولاً، تنشأ أسئلة حول حالة القوانين الطبيعية، تفترض معظم المناقشات حول المعجزات باعتبارها "انتهاكات" للقوانين الطبيعية أن هذه القوانين حتمية، ولكن إذا كانت القوانين الطبيعية غير حتمية على سبيل المثال يقول باسنجر، "إذا كانت الحياة تعتمد على الكيمياء، والكيمياء تعتمد على الذرات، والذرات تعتمد على الميكانيكا، وميكانيكا الكم هي في الأساس غير حتمية، قد يبدو بعد ذلك أن الله قد أُعطي "مساحة" أكبر لتحقيق المعجزات دون الإشارة إلى انتهاك القوانين"[23]، وهذا في نظرنا بالطبع صحيح فمفهوم انتهاك القانون الطبيعي يكون متماسكًا فقط إذا تم تصور هذه القوانين على أنها حتمية، فلا يمكن أن يكون هناك انتهاك إذا كانت القوانين غير حتمية، ومع ذلك، يظل وضع القوانين الطبيعية سؤالًا مفتوحًا للغاية.

ثانيا: إن الاهتمام المفاهيمي الأكثر شيوعًا الذي أثير فيما يتعلق بانتهاك المعجزات هو أن تصور حدث ما على أنه انتهاك للقوانين الطبيعية غير متماسك. حيث يؤكد باسنجر أن القوانين الطبيعية هي مجرد بيانات تصف المسار الفعلي للأحداث. وبناءً على ذلك، لا يمكن أبدًا أن نجد أنفسنا ندعي بشكل مبرر أن مجموعتنا الحالية من القوانين الطبيعية كافية وأن بعض الأحداث المعترف بها هي انتهاك حقيقي لهذه القوانين، بمعنى أنه حدث لا يمكن اعتباره انتهاكًا حقيقيًا. ولا يمكن أن يأتي أي تفسير طبيعي على الإطلاق. من الممكن أن تحدث حالات مضادة حقيقية للقوانين الحالية. ومع ذلك، فإن الاعتراف بحدوث تناقض حقيقي للقوانين القائمة لا يؤدي إلا إلى توضيح أن القوانين المعنية غير كافية لأننا يجب أن نكون دائمًا على استعداد، من حيث المبدأ، لتوسيع قوانيننا الطبيعية لاستيعاب أي حدث فعلي مهما كان غير عادي.

إذا كان الأمر كذلك في نظرنا، فإنه يترتب على ذلك أن انتهاك قوانيننا الطبيعية التي ينظر إليها على أنها مضادة حقيقية للقوانين الحقيقية هو أمر مستحيل من الناحية المفاهيمية. قد يبدو أن لدينا طريقة سهلة للخروج من هذه المشكلة. يرى الكثيرون أن الادعاء بأن القوانين الطبيعية تصف النظام الطبيعي بدقة يعني فقط أن مثل هذه القوانين تتنبأ بشكل صحيح بما سيحدث في ظل مجموعة محددة من الظروف الطبيعية. ومع ذلك، فإن التأكيد على أن حدثًا ما هو معجزة مضادة لمجموعة من القوانين الطبيعية على سبيل المثال يقول باسنجر، "أن شخصًا ما قد قام من بين الأموات لا يعني التأكيد على أن حدثًا ما قد حدث في ظل نفس مجموعة الظروف الطبيعية التي تغطيها هذه القوانين الطبيعية، بل إن الأمر يتعلق بالادعاء بوجود عامل سببي غير طبيعي إضافي، وهو النشاط الإلهي المباشر، كان له دور أيضًا في هذه الحالة"[24].

ومن جهة أخرى يوضح باسنجر أن العلم يواصل اكتشاف معلومات جديدة، غالبًا ما تكون مذهلة وغير متوقعة، حول طبيعة العوامل السببية التي تعمل في عالمنا ويقول " تشير سجلات العلم إلى العديد من الحالات التي تم فيها إثبات حالات مضادة للقوانين الطبيعية التي يُفترض أنها راسخة في بعض الأحيان فقط بعد تحولات مفاهيمية كبيرة في التفكير لتكون في الواقع متسقة مع القوانين الطبيعية أو تنقيحاتها. وبناء على ذلك، ألن يكون من قمة النزعة العلمية أن يقرر أي شخص، على أساس البيانات المتاحة حاليًا فقط، أنه كان من المبرر في هذا الوقت وصف حدث معين بأنه لا يمكن تفسيره بشكل دائم من خلال العوامل السببية الطبيعية"[25].

نستنتج من هذا القول أنه ينغي دائمًا للعلماء، نظرًا لفهمنا المحدود للنظام الطبيعي، أن يستجيبوا حتى لأكثر التناقضات غرابة من خلال الاستمرار في إجراء الاختبارات إلى أجل غير مسمى أو ببساطة عن طريق وصف حدوث الشذوذ والانتظار، البحث عن حدوث ظواهر مماثلة قبل إجراء المزيد من التحقيق الجدي. نجد هذا التصور كذلك ضمنيًا في كتابات ريتشارد سوينبيرن عن المعجزات. لكن هل هذا يعني أن باسنجر ينفي وقوع المعجزات؟

إن موقف باسنجر هذا في نظرنا لا يمثل مشكلة بالنسبة للمؤمن الذي يؤكد حدوث المعجزات. نظرًا لتمييزه بين نوع الحدث ورمز الحدث، لكي يتفق المؤمن على أننا يجب أن نستمر دائمًا في افتراض الكفاءة الوظيفية للقوانين الحالية المعنية ونرحب بالجهود العلمية

لاكتشاف قوانين جديدة أو معدلة لاستيعاب الحدث غير المعتاد. لا يعني بأي حال من الأحوال أن بعض رموز الأحداث لا يمكن من قبل هؤلاء المؤمنين على أنها أحداث لا يمكن أن يكون هناك تفسير طبيعي كامل لها، وبالتالي تعتبر مرشحة للمعجزة.

إذا كانت قوانيننا الطبيعية في الوقت الحاضر غير قادرة على استيعاب أحداث من هذا النوع، فليس هناك حاجة علمية للادعاء بأن نوع الحدث لن يكون قابلاً للتفسير بشكل طبيعي أبدًا. علاوة على ذلك، فإن ترك السؤال مفتوحًا حول ما إذا كان أي نوع من الأحداث يمكن تفسيره بشكل دائم له فائدة إضافية تتمثل في إزالة الحاجة المحرجة وغير الضرورية من الناحية الوظيفية للعلماء لوضع تنبؤات بشأن الحدود المستقبلية للتفسير العلمي.

من ناحية أخرى، يتبنى باسنجر في نقده للمعجزات حجج هيوم التي تشكك في استخدام الشهادة كدليل على حدوث المعجزات. يرى هيوم أن الحالات التي تُزعم فيها انتهاك القوانين الطبيعية لا تدعمها سوى شهادات شخصية من الماضي، مما يجعل هذا النوع من أضعف مقارنة بالأدلة التي تدعم القوانين الطبيعية. ويوافقه باسنجر في ذلك، على أن الأدلة التي تدعم القوانين الطبيعية هي أدلة موضوعية، بينما تبقى شهادات من يزعمون أنهم شهدوا تلك المعجزات محكومة بالطابع الذاتي. وبناءً على ذلك، يعتبر باسنجر أنه "لا يمكن أن يكون هناك سبب أقوى لقبول تقارير عن أحداث غير قابلة للتكرار للقوانين الطبيعية"[26].

فإذا كان وقوع حدث غير عادي قابلاً للتكرار بمعنى أنه يمكن لأي شخص إعادة إنتاجه في ظروف طبيعية محددة، فإن ذلك سيكون دليلاً قويًا يقنعنا بقبوله. ويضيف باسنجر إلى أن "الدليل الداعم لتقارير الشهادات للأمثلة المضادة غير القابلة للتكرار لا يمكن أبدًا أن تكون أكثر إقناعًا من تجربة "الدليل" ضد الحدث الفعلي"[27]. رغم ذلك، يعترض دايفيد باسنجر على هيوم وآخرين الذين يتبنون موقفًا يتسم بما اسماه "التحيز الطبيعي"، حيث يضعون قوانين الطبيعة في موقع "الصوت النهائي"، ويتساءل إن كان من الممكن استبعاد العوامل غير الطبيعية الأخرى بشكل تلقائي؟

يشير باسنجر إلى السبب الذي يجعل العديد من المؤمنين يعتقدون بوقوع أحداث إعجازية معينة، وهو وجودها في النصوص المقدسة مثل الكتاب المقدس، التي يعتقدون أن دقتها مضمونة بأصلها الإلهي. يذهب باسنجر إلى أبعد من ذلك، فيفترض أن المؤمنين غالبًا ما يرغبون في استخدام المعجزات لدعم أو تأكيد معتقداتهم الدينية، وهو أمر يعترف به. ولكنه يوضح أيضًا أن المعجزة المزعومة لن يكون لها هذه القيمة الدفاعية المطلوبة إلا إذا كان بالإمكان إثبات وقوع الحدث المعني بشكل موضوعي، اعتمادًا على الأسس الطبيعية. فكما يوضح باسنجر، عند مناقشة المعجزات، يقتصر الاهتمام على البيانات التاريخية الطبيعية، نظرًا لأن المؤمنين يهدفون إلى استخدام وقوع أحداث تاريخية معينة لإثبات معتقداتهم الدينية مثل الإيمان بوجود الله أو صحة النصوص المقدسة بوصفها وحيًا إلهيًا. ومع يشير إلى أن هذا الافتراض بحد ذاته يعتمد على صحة المعتقدات الدينية التي يسعى المؤمنون إلى تعزيزها، مما يثير تساؤلات حول مصداقية تلك الأدلة.

يوافقه في هذا الرأي أيضًا روبرت لارمر الذي يعتبر أن "التفسير المبدئي لثلاثة أنواع من الأدلة: الملاحظة الشخصية، والآثار المادية الصلة، وشهادة الآخرين يمكن أن يجعل الاعتقاد بأن الحدث قد وقع بالفعل أمرًا معقولًا تمامًا"[28]. أي أن تقرير الشهادة عن حدث غير عادي قد يكون معقولًا إذا تم النظر فيه من خلال ثلاثة أنواع من الأدلة: الملاحظة الشخصية، الآثار المادية ذات الصلة، وشهادة في هذا السياق، يرى باسنجر أنه لا يوجد سبب مسبق يبرر رفض دقة التقارير المتعلقة بالأحداث التي لا تتماشى مع القوانين الطبيعية السائدة، مشيرًا إلى أن تقرير وقوع حدث لا يتوافق مع هذه القوانين لا يعني بالضرورة عدم صحة التقرير وهذا واضح من خلال قوله "باختصار يبدو للبعض، وأنا منهم، أنه لا يوجد أساس مسبق مبرر لرفض الاعتراف تلقائيًا بدقة التقارير المتعلقة بالأمثلة غير القابلة لقوانيننا الطبيعية الحالية. إن حقيقة أن أي حدث مزعوم لا يتوافق مع القوانين الطبيعية الراسخة لا تعتبر ضد صحة التقرير عن حدوثه"[29].

2.2 المعجزة كعمل إلهي

سننتقل الآن إلى مناقشة الصعوبات المتعلقة بتماسك مفهوم التدخل الإلهي المباشر في الشؤون الأرضية. في هذا السياق، يستحضر باسينجر ما ذكره المفكر البارز في مجال المعجزات، **ديفيد كورنر**، الذي يقول "إن أي تصور للمعجزة يعتمد على فكرة السببية الخارقة للطبيعة، بمعنى أن المعجزة تُفهم على أنها حدث يتم بواسطة قوة إلهية، حيث يُعتبر الله هو السبب الرئيسي في حدوث الحدث المعني هو أمر مثير للإشكالية"[30]، من خلال هذا القول يمكننا أن نثير الاشكال التالي: إذا كان الحدث لا يمكن أن يكون قد تم بواسطة قوانين الطبيعة وحدها، فإن هذا يفتح المجال لتساؤلات حول منطقية هذا التصور للمعجزة.

من هذا المنطلق تطرح المعجزة باعتبارها تدخل إلهي صعوبة مفاهيمية متأصلة في فهم بارز للعلاقة بين السيطرة الإلهية وحرية الإنسان. حيث يؤكد أنصار ما يسمى غالبًا بالحتمية اللاهوتية أن الله هو المسيطر على كل شيء. والبشر أحرار ومسؤولون عن أفعالهم، لكن ما يجب أن يكون فقط هو كل ما قرره الله وأمر به، أي ان الله يتحكم في كل ما يقوله ويفعله البشر، ومن هنا نكون أمام إشكالية حرية الإنسان فهل سلوكات الإنسان وأفعاله ناتجة عن إرادته وحريته أم أنها عمل إلهي يتم بطريقة مباشرة وغير مباشرة. مما يجعلنا نتساءل ما هي الشروط التي بموجبها يمكن لأي شخص أن يدعي بشكل مبرر أن الله قد تدخل في الواقع بشكل مباشر في الشؤون الأرضية؟ بمعنى آخر هل يمكن للمؤمن أن يؤكد بشكل مبرر أن الله قد تلاعب في الواقع بالنظام الطبيعي لإحداث حالة ما على سبيل المثال، تسبب في أن يكون لدى شخص ما إطار سيارة مثقوب بحيث تفوته رحلة قاتلة؟

تخبرنا **كريستن** أن المشكلة في معجزة المصادفة هي أن الحدث الذي يكون غير متوقع ومثير للإعجاب ولكنه مع ذلك متسق مع القوانين التجريبية، من المحتمل أن يكون قابلاً للتفسير بالكامل بشكل طبيعي، إن تأثيرها وعدم توقعها سيكونان ببساطة نتيجة لافتقار البشر إلى المعرفة. لن يكون من غير المناسب وغير الضروري فحسب، بل سيكون مخالفًا بشكل إيجابي لمعايير البحث الجيد أن نفترض وجود إله كامل كسبب لذلك.

كما أنه لا يمكننا تقييم مدى معقولية افتراض وجود كائن إلهي وأنه سبب حدث معين من خلال النظر فقط في الأدلة على وجود هذا الكائن المستمدة من السيناريو الذي يتضمن هذا الحدث. يجب علينا أن نفكر في مدى معقولية وجود هذا الكائن، في ضوء كل ما نختبره أي في ضوء جميع السيناريوهات ذات الصلة التي تنطوي على هذا الكائن.

بالنسبة لنا، على سبيل المثال، فإن افتراض أن حالات الشفاء هي نتيجة للتدخل الإلهي المباشر لا يعني فقط أن الله موجود في ضوء السيناريو الإيجابي فقط، ولكن أيضًا أن هذا الافتراض معقول. في ضوء جميع السيناريوهات التجريبية ذات الصلة بالوجود الإلهي والنشاط التدخلي. يجب أن نفترض، على سبيل المثال، أن وجود الله يتوافق مع كمية وأنواع الشر الذي نختبره. وهذا يعني أنه إذا كان الشفاء من النوع الذي يريده المؤمن أن نتصور حدوثه، فإن السؤال الحاسم هو ما إذا كانت السببية الإلهية هي التفسير السببي الأكثر معقولية لهذا الحدوث وحده. سيكون السؤال الحاسم هو ما إذا كان التدخل الإلهي المباشر هو التفسير الأكثر قبولا لجميع الأحداث التي يمكن أن يقال فيها أن الله يلعب دورا سببيا إيجابيا أو سلبيا.

في هذا السياق يمكننا التفكير في القضايا الرئيسية المتعلقة بالمعجزات والشر عند دافيد باسنجر، الذي أكد على أنه إذا كانت المعجزات تعدّ انتهاكات أو تحايلًا على النظام الطبيعي بتدخل إلهي، فإن حدوثها سيكون في الواقع ضد وجود الله. و تؤكد الحجة أنه إذا كانت المعجزات تتنافى مع النظام الطبيعي، فإن هذا يتناقض مع الفكرة القائلة بأن النظام والانتظام في الكون يمثلان دليلًا على وجود إله حكيم وقادر على كل شيء. من هنا يظهر لنا التناقض بين الاعتقاد بوجود إله خلق نظامًا كونيًا منتظمًا وبين الاعتقاد بإمكانية حدوث معجزات تخرق هذا النظام. وتستند الحجة المعروضة إلى أن وجود المعجزات يقوض الحجة الغائية التي تدعم وجود الله.

فإذا كان العديد من الفلاسفة واللاهوتيين جادلوا بأن النظام والتناسق في الكون يعدان دليلاً على وجود إله خالق. فإنه وفقًا لهذه الحجة، إذا كان النظام الطبيعي يشير إلى وجود الله، فإن المعجزات يقول دايفيد "لا يمكن أن تكون أيضًا دليلًا على وجوده، لأنها ببساطة

خروقات أو تناقضات في التناغم الكوني، وبالتالي لا يمكن للمؤمن المسيحي أن يقبل بأن الفوضى والنظام في الطبيعة يعدان دليلاً على وجود الله، وفي الوقت ذاته يعتبر المعجزات دليلاً على وجوده أيضًا."[31]

تستند هذه الحجة إلى فكرة أن المؤمن لا يستطيع أن يدافع عن فكرة أن النظام الطبيعي هو دليل على وجود الله وفي نفس الوقت يرى أن الاستثناءات لهذا النظام يمكن أن تكون دليلاً على وجود الله. إذا كان المؤمن يفترض وجود علاقة سببية طبيعية تمامًا في كلتا الحالتين، فإن ذلك قد يخلق مشكلة في التناسق الفكري. ومع ذلك، كما نرى في أجزاء أخرى، يميز العديد من المؤمنين بين نوعين من السببية: السببية الطبيعية التامة، والسببية غير الطبيعية جزئيًا على الأقل. هؤلاء المؤمنون الذين يدافعون عن الحجة الغائية يرون أن النظام الطبيعي، عندما يعمل دون تدخل إلهي مباشر، هو دليل على وجود خالق ذكي. ومع ذلك، يدّعي هؤلاء المؤمنون في الوقت نفسه أن الخالق الذي وضع النظام الطبيعي بحيث يختار أحيانًا التدخل في هذا النظام لإحداث أحداث تتعارض مع ما قد تسببه القوانين الطبيعية.

خلاصة

على سبيل يمكننا القول أنه في الآونة الأخيرة، أظهر الفلاسفة اهتمامًا متزايدًا بالأسئلة المتعلقة بالدين عموما وفلسفة الدين على لذلك جاء هذا المقال للتعريف بواحدة من أهم القضايا والنقاشات الرئيسية في مجال فلسفة الدين، هذا المجال المثير والذي خلق فضولا معرفيا يدعو لمزيد من الفحص والتدقيق فيه ودراسته، ولا نستطيع التفكير في أي أسئلة أكثر أهمية من تلك المتعلقة بالله، بالمعجزة، بالحقيقة المطلقة، بالنبوة والوحي، والإيمان والعقل، ومشكلة الشر، والنفس والحياة الآخرة.

قد نجد هذه المشكلات كذلك عند علماء اللاهوت وعلماء الكلام وكذا الفلاسفة الذين صنفوا ضمن الفلسفة الدينية، لكن رغم تشابه القضايا إلا أن منهجية تناولها تختلف عن منهجية فلسفة الدين، فإذا كان هدف الفلسفة الدينية وباقي العلوم الأخرى هو الدفاع عن هاته القضايا والمعتقدات كما جاءت بها دياناتهم، فإن فلسفة الدين كما راينا في معالجتها لهاته القضية تستند الى الحجة والمنطق والنقد والتأمل بعيدا عن الانحياز لعقيدة معينة.

وهذا ما يتميز به فيلسوفنا دافيد باسنجر في تناوله لقضية المعجزة، فقد عمل على اخراجها من حيز الدين الى مجال الفكر والعقل والنقد، وجعلها موضوعا للفكر والنقد الفلسفي، كما أنه انطلق في تناوله لهاته القضية من مناهج البحث ومعايير العقل الفلسفي لا للدفاع عن دين محدد، بل للتأمل والتفكر الفلسفي في المعجزة في شموليته.

على العموم فقد شهد مجال فلسفة الدين في العقود الأخيرة ازدهارا مع مفكرين مبدعين يستخدمون خبراتهم الفلسفية لمعالجة مجموعة من المواضيع الدينية، إن نطاق المنخرطين في فلسفة الدين أصبح واسع إلى حدٍ ما، ويشمل علماء متنوعين ومتعددي التخصصات مثل الفلاسفة التحليليين والقاريين، وعلماء الأخلاق، والمفكرين الشرقيين والغربيين. ونظرًا لاتساع المجال، فكذلك تتعدد المواضيع والأساليب، ولذلك ارتأينا أن نخصص هذا المقال لمناقشة موضوع المعجزات في فلسفة الدين باعتبارها قضية ذات أهمية وجودية ونظرية للكثيرين تطرح صعوبات واشكالات مفهومية ومعرفية وأخلاقية تضمن أن التحليل الفلسفي لمفهوم المعجزة سيستمر في المستقبل، ويحدوني الأمل في أن تساهم هذه النظرة الموجزة لنقد مفهوم المعجزة في إغناء المناقشة حول هذه القضايا الدائمة

الهوامش:

[1] ديفيد باسنجر (David Basinger) هو أستاذ فلسفة الدين في كلية روبرتس ويسليان، روتشستر، نيويورك. وهو أيضًا نائب الرئيس للشؤون الأكاديمية والرئيس الأكاديمي في كلية روبرتس ويسليان. تخرج من كلية جريس، وكلية بلفيو، وجامعة نبراسكا لينكولن، وحصل على درجة الماجستير والدكتوراه. وهو من دعاة الإيمان المفتوح.

[2] Brian davies An Introduction to the Philosophy of Religion Oxford · New York OXFORD UNIVERSITY PRESS page 194.

[3] Vergilus Ferm, Encyclopedia of Religion, New York, 1945, p. 493, (Miracle Art).

[4] David Basinger - Miracles (Elements in the Philosophy of Religion)-Cambridge University Press (2018 page 1.

[5] جلال الدّين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، الجزء الثاني، دار الكتاب العربي، ص238.

[6] Stanford Encyclopedia of philosophy).otalp//:ptth stanford. edu/-eMntirriaesc/lMeisr, 1.acleP1

[7] Ibid 1.acleP1

[8] Ibid 1.acleP 1

[9] مصطفى النشار، مدخل جديد الى فلسفة الدين، الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة، الطبعة الثانية ص 245-246.

[10] المرجع نفسه، ص 247.

[11] John Hick, God and the universe of faiths, Essays in the Philosophy of Religion, British Library Cataloguing in Publication, page 51.

12 McGrew, T. (2016). Miracles. The Stanford Encyclopedia of Philosophy, Zalta, E., ed., https://plato.stanford.edu/archives/win2016/entries/ miracles/.

[13] David Basinger, Miracles (Elements in the Philosophy of Religion)-Cambridge University Press 2018 page 4.

[14] هيوم دايفيد، تحقيق في الذهن البشري، ترجمة د محمد محجوب، المنظمة العربية، الطبعة الأولى بيروت 2008 ص 151.

[15] Clarke, S. (1997). When to Believe in Miracles. American Philosophical Quarterly, 34(1), pp. 95–101.

[16] David Basinger, Miracles (Elements in the Philosophy of Religion)-Cambridge University Press 2018 page 7.

[17] David Basinger - Miracles (Elements in the Philosophy of Religion)-Cambridge University Press (2018 page 7.

[18] Bylica, P. (2015). Levels of Analysis in Philosophy, Religion, and Science. Zygon, 50(2), 304–29.

[19] Holland, R. F. (1965). The Miraculous. American Philosophical Quarterly, 2(1), pp. 43–51.

[20] David Basinger, Miracles (Elements in the Philosophy of Religion)-Cambridge University Press (2018 page.12

[21] Adams, R. (1992). Miracles, Laws and Natural Causation (II). Proceedings of the Aristotelian Society, Supplementary Volume, 60, pp. 207–24.

[22] Larmer, R. (1994). Miracles, Evidence and Theism: A Further Apologia. Sophia, 33(1), pp. 51–57.

[23] David Basinger - Miracles (Elements in the Philosophy of Religion)-Cambridge University Press (2018 page.20

[24] Ibid page.26

[25] Ibid page.26

[26] Ibid page.34

[27] Ibid Page.35

[28] Larmer, R. (1994). Miracles, Evidence and Theism: A Further Apologia.Sophia, 33(1), pp. 51–57.

[29] David Basinger - Miracles (Elements in the Philosophy of Religion)-Cambridge University Press (2018 page.36

[30] Ibid page 31.

[31] David Basinger - Miracles (Elements in the Philosophy of Religion)-Cambridge University Press (2018 page 55.